المصدر: الاهرام
التاريخ : ١٩٣١/٤/١٣

المتحف القبطي
والاثار القبطية في مصر
المحاضرة الثانية للجنة المعلمين العليا
للاستاذ امام عبد المجيد

ترجع أهمية الاثار القبطية فى مصر في انها تعتبر حلقة الاتصال بين عصرين ازدهرت الفنون فيها على اختلاف انواعها ازدهارا جميلا . الاول عصر الفراعنة والعصر اليونانى الرومانى والثاني هو عصر الاسلام .

ويمكن تقسيم الفن المسيحي في مصر الى قسمين لكل منهما بميزاته الخاصة الاول ويبتديء من القرن الثالث بعد الميلاد الى فتح العرب والثانى من ذلك الفتح الى العصر الحاضر

ولقد عانت مصر المسيحية فى الازمان الاولى الويلات قاسية من الظلم تحت حكم الرومان فقد كان محرما على الناس ان يقيموا كنائس لعباداتهم او يؤدوا شعائر دينهم ولهذا كانوا يلجأون الى الاجتماع خفية في المقابر القديمة والمغاور لاداء فروضهم ويدل على ذلك كثير من الكتابات القبطية على جدران هذه المقابر

ولما انقضي القرن الرابع وأصبحت المسيحية دين الامبراطورية الرومانية الرسمي بادروا الى تحويل المقابر الى

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

كنائس واقاموا فيها مذابح لاقامة الصلاة كما أنهم غطوا النقوش التي تمثل صور المعبودات المصرية القديمة بطبقة من الجبس نقشوا عليها صور المسيح والعذراء والقديسين والامثلة على ذلك كثيرة قائمة في الاقصر والكرنك . .

ولايضاح هذه النقطة يجدر بي ان أشير الى ان المصريين عند اعتناق المسيحية حاولوا ان يقطعوا بل اجبروا على قطع كل الصلات القديمة بدينهم فاستبدلوا في كناباتهم بالاحرف الهيروغليفية الاحرف الاغريقية ولكنهم لم يستطيعوا ان يتخلصوا من روح الفن الفرعوني القديم كما يتضح ذلك فى كثير من مخلفاتهم وأظهر مثال على ذلك ماادخلوه من التغيير على رمز الحياة (العنخ) ليقوم مقام الصليب

وعن طريق الاسكندرية ايضا التى كانت في ذلك الزمان مهد الفن ومركز التجارة كما كانت مقام الفلاسفة والرياضيين والفنانين والمصورين وقد اكتسى الفن المسيحى صبغة من الفن اليوناني البادي بوضوح فى كثير من نواحى الزخرفة شملت العناية الكبيرة جميع المباني التى أقيمت في تلك الحقبة من الزمن . فكانت الاعمدة من أحسن الجرانيت الاسوانى وتنقش عليها الضلبان والرموز الدينية التي تتالف فيها ثروة زاخرة من الزخرفة الحفرية المزدانة بالزهور والورد والرسوم الهندسية الجميلة

***

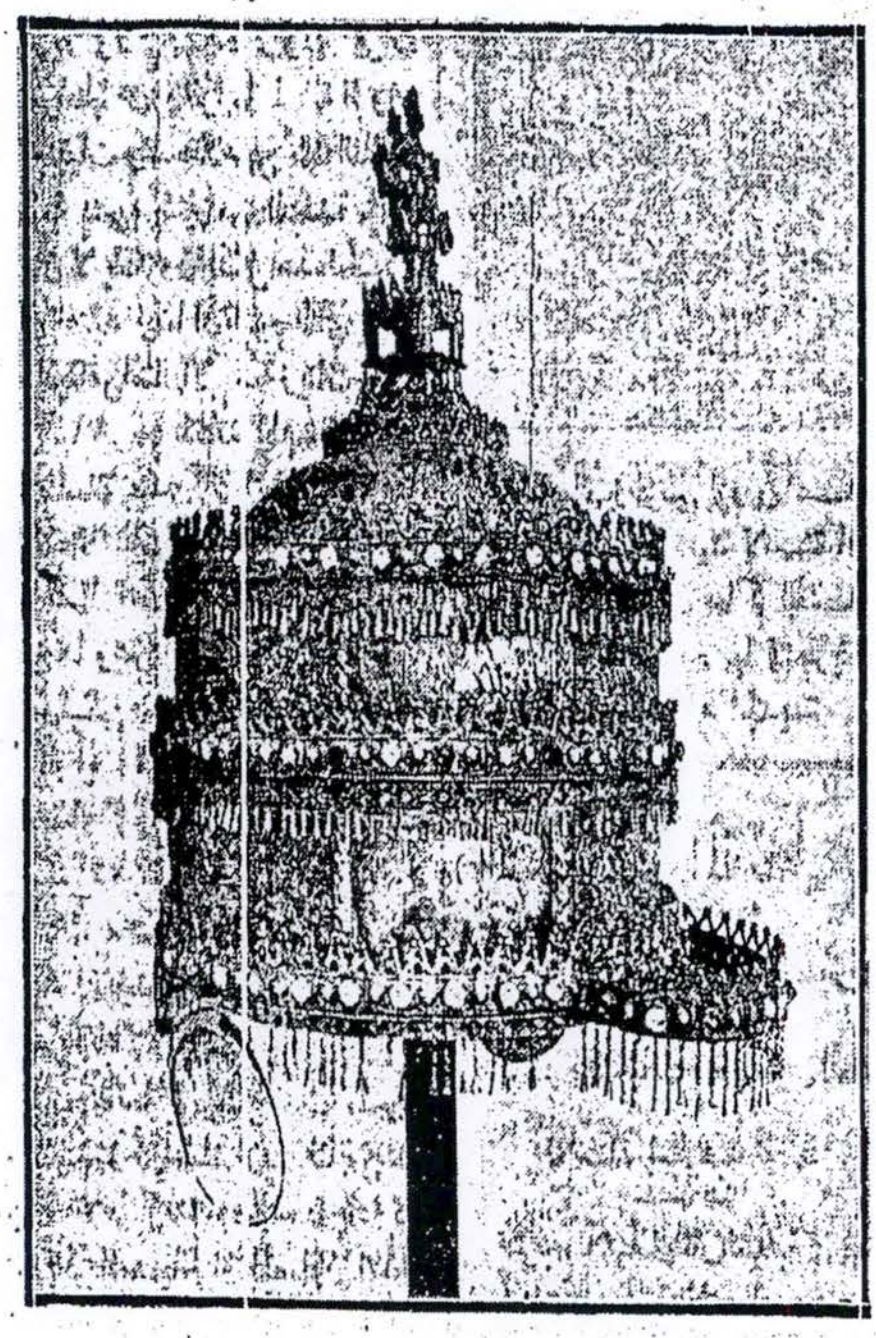

تاج امبراطور الحبشه

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

بلغ الفن المسيحى في القرن الرابع والخامس اوج عظمته فقامت صناعة الفسيفساء القبطية التي تتالف من قطع المرمر المختلف الالوان الدقيق الصنع منتظمة فى اشكال منسقة حسب الوانها الطبيعية مطعمة بالاصداف الجميلة — قام كل ذلك يشعرنا بمجموعة قيمة من الجمال الفنى الآخذ بالالباب وترى آثار كثيرة لهذه الصناعة في الاماكن المقدسة في الكنائس وخصوصا في المذابح والهياكل . على ان الفسيفساء في كنائس القبط رسوما لان الفنانين لم يستطيعوا التجرد من صفات الجمود والقسوة التى هي صفات المواد التي يقيمون منها فنهم والوانهم لانهم لم يستطيعوا ان يكونوا منها تناسقا تصويريا ولا جدال في ان الفسيفساء القبطية اقدم من البيزنطية ولم تؤثر فيها عوامل منافستها الاخرى في مصر لانه بينما العرب في بلاد الشام استعاروا الفن البيزنطي واستعملوا الزجاج الميناثي في زخرفة مساجدهم وفي صناعة الجواهر والاساطة بدرجة محدودة فان مسلمي مصر لم يمدوا ايديهم مطلقا الا الى الفسيفساء التي تحمل الطابع القبطي المصري القح .. وذلك بصفة خاصة لانهم من ناحية وجدوا الفن والفنانين كما وجدوا من الناحية الاخرى تناسب ذلك الفن الخيالى من الصور ملائما للاسلام . والواقع ان هذا الفن هو مسيحي بدأة ذي بداء وليس اسلاميا في الاصل ولكنه مستعار من القبطي لانهم استخدموا الفنانين القبط لتشييد مساجدهم . ويصف الاستاذ بتلر هؤلاء الفنانين بقوله :

(بينما عفا الزمان على اسماء اولئك الفنانين فان دقتهم وعبقريتهم لاتزال قائمة تنطق بها روعة اعمالهم وجمالها التي تحملها مساجد القاهرة بشكل متناسق ياخذ بالالباب

وان القطع المختلفة الالوان الجميلة الصنع من الرخام لتزين حوائط المذابح في كنائس القبط كما تزين في الوقت نفسه والشكل نفسه حوائط المساجد التي بنيت في صدر الاسلام في مصر . ومن اجمل الامثلة على ذلك ما يرى محتشدا في الكنيسة المعلقة وابو سرجه فى مصر القديمة وكذلك في مسجدي الاشرف وقايد باي وفى مقابر الخلفاء حيث تزدان الحوائط والارضية بادق الرسوم والالوان

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

والان نعود الى الاقباط في حكم الاسلام بمصر

عندما انتشر الاسلام كان القبط معرضين مدة حكم بعض الولاة لضرائب فادحة ولبعض انواع الاضطهاد التي يبالغ فى وصفها بعض المؤرخين . وانى ارى ان هذا يرجع الى انتشار التعصب في تلك العصور الذي يسهل فهمه اذا اعطينا لانفسنا حرية التفكير وصراحة الحكم . فقد كان دين العرب جديدا يغاير كل المغايرة جميع الاديان الاخرى ويستلزم رعاية واسعة النطاق لنشره ومد سلطانه شانه في ذلك شأن كل دين جديد ولاجل ان نعطي اجدادنا العذر يجب ان نقارن بين عقليتين مختلفتين كل الاختلاف عن بعضهما . عقلية الماضي وعقلية الحاضر .

والان فلننظر فيما اتخذه القبط من وسائل المحافظة على كيانهم على اثر غزوة العرب لمصر

ابرمت معاهدة بين الفريقين . نصوص هذه المعاهدة قاسية جدا ولكن بالرغم من قساوة هذه المواد التي تحويها المعاهدة فانها لم تكن متبعة بالدقة التى تتطلبها نصوصها وهذا يدلنا على تسامح العرب في معاملاتهم مع القبط في مصر بالرغم مما تبيحه لهم تلك المعاهدة

فقد اقيمت في الاحياء الاسلامية بعض الكنائس بتصريح بعض ولاة المسلمين كما ترك القبطي الحق في اقامة مشاعره الدينية انى شاء وكيف شاء . والاكثر دلالة على روح تسامح المسلمين تزاوجهم من القبط وتعاملهم معهم على قدم المساواة فى التجارة وغيرها من نواحي الحياة الاجتماعية حتى ان وظائف الدولة الكبرى التي كانت وقفا على الرومان اصبحت شيئا فشيئا عاشدة بالقبط ولم ينقض زمن طويل حتى كانت مرافق الدولة في ايدي المسيحيين . وقد كان من آثار ذلك بقاء الفن القبطي على روعته وجماله واستمراره في كثير من كنائس وادبرة ذلك العهد

وهناك قصة تاريخية لا يفوتنا أن نذكرها تؤيد ما ذهبنا اليه من تسامح المسلمين وعطفهم على قبط مصر وهى ان اقباط الدلتا تقدموا الى عمرو بن العاص يشكون مما اصابهم على ايدي جيش الرومان الذي اعاد احتلال الاسكندرية من نهب وسلب واستباحة للحرمات بينما كانوا على الحياد نزولا على معاهدتهم للمسلمين وبالرغم من هذا لم يدفع المسلمون عنهم طغيان الجيش الروماني فاجابهم عمرو « والله لو ادركت الرومان قبل ان يغادروا الاسكندرية لانزلت بهم قصاصا عادلا »

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

ثم امر لهم بالتعويضات السخية عما اصابهم من اضرار . وهـذا يدلنا على ما اتصف به عمرو من المبادىء السامية والادارة النزيهة العادلة والتسامح والنبل في الاخلاق

***

والان فلنذكر بعض الفنون التي ازدهرت بين المسيحيين قبيل الفتح الاسلامي وفي اوائل حكمه

كانت مصر الفراعنه شهيرة بصناعة المرمر البديعة حتى امتلأت كنائس العالم وقصوره بذلك المرمر الغالي الثمين ولقد انتقلت هذه الصناعة من الفراعنة الى القبط فتقدمت على أيديهم وازدهرت وظهر كثير من أئمة صناعها بين القبط في مصر. كما ازدهرت صناعة النقش جنبا لجنب مع فن البناء . ولا يفوتنا ان نشير الى الدرجة التي بلغها فن تحلية الكتب بالخيوط الذهبية

يقول استرايو عن صناعة الزجاج في ذلك العهد (ان مصر تحتفظ لنفسها بسر تلك الصناعة داخل مصانع « ديوسبوليس » القديمة)

كما انهم اتقنوا صناعة الاواني وتطعيمها بالاحجار الكريمة . ولاشك في ان هذه الصناعة بقيت قائمة في ايدي القبط حتى العصور الوسطى حيث استنبطت منها صناعة الميناء التي صورها العرب على مقتضيات فنهم وعملوا منها القناديل التي ملأت الجوامع والكنائس ولاتزال زينة وفخرا لدار الآثار العربية بمصر

يقول كثير من المنقبين ان صناعة الزجاج المزخرف بالميناء هبطت مصر من البندقية ولكن المرحوم على بك بهجت مدير دار الآثار العربية سابقا وجد بعض قطع من الزجاج الملون معدة لوضعها في الافران التي اكتشفها ايضا في بقايا مدينة الفسطاط وهذا يدل على ان تلك الصناعة كانت اصلية في مصر القبطية . وكذلك كانت هناك تجارة واسعة النطاق ومعامل مختلفة للنسج الاقمشة وكان النسيج بالغا درجة من الاتقان تكاد تكون الاولى بين مخلفات العصور القديمة في مصر

وقد كان يوجد في تلوين الاقمشة وصنعها شيء اصيل للفراعنة وشيء يرجع الى المسيحية الخالصة وثالث على النمط الفارسي ولكنه قليل وذلك من اثر اقامة الفارسيين بمصر زمنا يسيرا

اما صناعة السجاد والنسيج الموشي بالذهب وشغل الابرة فكانت من خصائص الفنان القبطي وبالطبع تغيرت طريقة الرسم في هـذه الصناعات تحت تاثير دخول العرب في مصر خصوصا في عهد الفاطميين حيث بلغت أوج عظمتها من جميع النواحي .

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

وكلما تعمقنا فى دراسة تاريخ مصر تحت حكم بيزنطة والعرب كلما وجدنا ان جميع الصناعات اليدوية الدقيقة كتوشية الذهب وصنع الميناء والاوانى المعدنية والزجاجيـة وجميع نواحي التخطيط والبناء ان القبط هم القائمون بالمحافظة على اصول تلك الفنون في هذه البلاد . وقد نقلها عنهم الفاطميون وادخلوا عليها التحسينات التى اقتضتها روح العصر فصيروها بذلك صناعة عربية اصبحت فنـاً قائماً بذاته . ويملأنا الحزن على تلك الصناعات الزاهرة التي نزل بها الفناء لاسباب لا محل لذكرها الان واتعشم ان تكون موضوع محاضرة لي قائمة بذاتها في الموسم القادم

سيداتي وسادتي

ومن قوانين الكنيسة القبطية ان كل الاثاث التابع للاماكن المقدسة

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية